مسابقة الأدب العربي

١ ـ ديوان حافظ ابراهيم

للدكتور زكي مبارك

تمهيد — شاعر القصر وشاعر الشعب — دسائس أدبية — ميدان حافظ — هزيمة حافظ — عريضة اتهام — هزائم فظيعة — قصيدة قصر الزعفران

تمهيد :

المفرر لمسابقة هذا العام هو الجزء الثاني . ومن الخير أن يرجع المتسابقون إلى مجموعة السنة الماضية من مجلة الرسالة ، ففيها تفاصيل عن شاعرية حافظ لا نملك تلخيصها في هذا الحديث ، وفيها أيضاً تفاصيل عن شاعرية شوقي ، تفاصيل تكمل الدراسات التي قدمناها في الأسابيع السوالف ، وتوضح اتجاهات شوقي في طوائف من الأغراض

السياسيات

أهم أبواب الجزء الثاني من ديوان حافظ هو باب السياسيات ، وسيُسأل فيه المتسابقون بكل تأكيد ، لأن الجانب السياسي من شعر حافظ هو أبرز الجوانب في حياته الشعرية ، فمن الواجب أن يجعله المتسابقون أول ما يدرسون بعناية وتدقيق

شاعر القصر وشاعر الشعب

لم تكن الحياة المصرية قبل الحرب الماضية شبيهة بالحياة التي جدت بعد تلك الحرب ، ومعنى هذا أن أيام الخديو عباس تختلف عن أيام الملك فؤاد ؛ ففي عهد عباس كان للقصر شعراء وللشعب شعراء ، ولا كذلك الحال في عهد فؤاد ، فقد أراد القصر أن يحول الشعر إلى وجهة قومية ، ولم يقبل الملك فؤاد أن يكون له شعراء بالمعنى المعروف لعهد الخديو عباس ، وإن كان تغاضى عن دعوى الشاعر عبد الحليم المصري رعاية لما كان عليه من أدب وإخلاص

دسائس أدبية

أنا مقبل على تسجيل حقائق لم تُسجَّل قبل اليوم ، ولن يعرفها التاريخ الأدبي إلا عن طريق هذه الأحاديث ، وما يدعوني إلى تسجيلها إلا الخوف من أن تضيع

شعر حافظ السياسي يبتدئ في سنة ١٩٠٤ ، وشعر شوقي السياسي يبتدئ في سنة ١٨٩٤ ، وقد انتهيا معاً في سنة ١٩٣٢ عليهما أطيب الرحمات !

فكيف صار شوقي وحده شاعر القصر ؟ وكيف اكتفى حافظ بأن يكون شاعر الشعب ؟

يرجع السبب إلى أن شوقي كان مغطوراً على حاسة سميتها منذ سنين « حاسة المعاش » وهي حاسة ورثها عن أبويه ، وكان لهما بالقصر اتصال ، وشوقي نفسه قال كلاماً يؤيد هذا المعنى في مقدمة الطبعة الأولى من الشوقيات ، وهي مقدمة تجاهلها شوقي فيما بعد ، وتمنى أن تضيع من ذاكرة التاريخ ، ولكن هيهات !

كانت في عيني شوقي علة شعرية هي النظر دائماً إلى السماء ، علة تمنعه من أن يرى ما بين يديه ، ثم اتفق أن زارت جدته الخديو إسماعيل وهو معها ، وكان طفلاً رائع الجمال ، فسألها الخديو عن أحوال ذلك الطفل الجميل ، فقالت بتحسر وتوجع : إن في عينيه آفة تمنعه من رؤية الأرض ؛ فنثر الخديو بدرة من النقود الذهبية على البساط ، فاعتدلت عينا الطفل وأقبل على الذهب يجمعه بشراهة نادرة المثال !

قال إسماعيل : هذا دواء هاتين العينين العليلتين !

فأجابت الجدة : ولكنه دواء لا يوجد إلا في صيدلية إسماعيل !

وعرف أهل الطفل دواء عينيه فكانوا ينثرون ما يملكون من النقود لينظر إلى الأرض ، عساه يستريح من إدمان النظر إلى السماء

وشبّ الطفل وصار له حمار يمتطيه في العصريات ، يوم كان القاهريون يغنون :

« أحبّ مَشْي العصاري لاجل ما أشوفك »

وكانت « دار شوقي » في تلك الأيام تقرب من « دار الرسالة » في هذه الأيام ، ولم يكن له بد من عبور ميدان عابدين وهو على صهوة حماره في نزهة الأصيل

وغلبت شوقي علة عينيه فنظر إلى فوق ، فلمح الخديو توفيق في إحدى الشرفات ، فنزل عن حماره وعَبَر الميدان على قدميه . وراع الخديو أن يرى شاباً يراعي هذا المعنى ، فقرر أن يدعوه إليه بلا تسويف ، ليبشره بوظيفة في ديوان المية

لا يعرف أحدٌ كيف كان شوقي في ذلك الوقت، ولكني أعرف كيف رأيته بعد نحو ثلاثين سنة من ذلك التاريخ، حين عاد من منفاه، وحين تفضل عبد اللطيف بك الصوفاني فجمع بيننا في حفلة عشاء بالدار التي أجهل ما صنعتْ بها الأيام!

هالني أن أرى شوقي الذي كان أمير الشعراء قبل أن تواجه عيناي نور الوجود قد احتفظ من أطلال صباه بثُونتَيْن تزينان خديه عند الابتسام، وأي ابتسام؟

وأقول بصراحة إني لم أر وجهاً أجمل من وجه شوقي، ولا روحاً ألطف من روح شوقي

ولكن هذا الجمال الجسدي والروحي كانت له غدرات، منها حُبّ التفرد بالسيطرة والاستعلاء ... وهنا بيت القصيد!

كان شوقي يحب أن يكون وحده شاعر القصر في عهد عباس. وقد تسبب للقصر في متاعب، فقد دخل لورد كرومر على الخديو عباس وهو غضبان، وحجتُه أنه علم أن أحمد شوقي وعلي فهمي كامل يديران أموراً لا يجوز عليها السكوت، والخديو عنهما مسئول مسئول. وما أحب أن أزيد!

هل كان شوقي الذي يحارب انجلترا في السر يهادن خصومه من الشعراء؟

وهل كان يسمح بأن يكون لخصومه ومنافسيه في قلب الخديو مكان؟

ارجعوا إلى ما كتب فضيلة الشيخ عبد القادر المغربي في مجلة الرسالة منذ سنين لتروا كيف استطاع شوقي أن يمنع كرم الخديو عباس عن الشيخ عبد المحسن الكاظمي، ثم ابحثوا بعد ذلك عن السر في عطف الشيخ محمد عبده على الشيخ الكاظمي، فأنا أفترض أن الفتور بين الخديو والمفتي كان له أثر في تقوية ذلك العطف الرفيق.

صيد حافظ

لم يستطع حافظ مجاراة شوقي في الحياة الرسمية، فانحاز إلى ميدان الوطنية، وصار بعد قليل شاعر الشعب، الشاعر الأول المحبوب، وكان الاتجاه الشعبي صريحاً في مقاومة الاحتلال، وصريحاً في تقوية الأواصر الإسلامية، فكان لحافظ قصيدة في كل مناسبة وطنية، وقصيدة في كل مناسبة دينية. ولم يفته أن يتغنى في أشعاره بأكثر أمم الشرق، ولا سيما اليابان، وما كانت اليابان أقرب إلينا في الوجوه والأفكار من إيطاليا أو فرنسا، ولا كانت لنا باليابان صلات أدبية أو اقتصادية، وإنما كانت اليابان في الاصطلاح الجغرافي أمة شرقية، وكان المهمّ هو إفهام الشعب أن الشرق يستطيع مجاراة الغرب في جميع الميادين إن تسلح بأسلحة هذا الزمان. ولهذا السبب سارع الزعيم الوطني مصطفى كامل فألف كتاباً عن نهضة اليابان ليضرب لقومه الأمثال

هزيمة حافظ

كان حافظ أطال القول في شكوى البؤس، فعينه الوزير حشمت باشا في وظيفة بدار الكتب المصرية، فسكت عن أغاريده الوطنية، وعند ذلك كثرت فيه الأقاويل، وجالت في غمزه الألسنة والأقلام كل مجال

ثم جاءت فرصة مشئومة عليه، هي ظهور ثلاث قصائد في يوم واحد بجريدة الأهرام عند اعتلاء السلطان حسين كامل أريكة العرش: قصيدة أحمد شوقي وقصيدة حافظ ابراهيم وقصيدة أحمد نسيم

كانت الحرب في تلك الأيام تجتاز مسالك شوائك، فخاف حافظ وخاف نسيم عواقب المشي على الشوك. أما شوقي فهتف بقصيدة رمزية شغلت الجماهير بالتفاسير والتآويل، فعده المصريون شاعرهم الأول، وزادوا إيماناً بعبقريته حين رأوا أن تلك القصيدة قضت عليه بالخروج من البلاد

وكان في مصر جريدة أسبوعية اسمها «عُكاظ»، وقد رأى صاحبها الشيخ فهيم قنديل أن يتودد إلى الجمهور بنشر ما طُوي من أشعار شوقي، ولم يكن يكتفي بتسميته «أمير الشعراء» وإنما كان يسميه «شاعر الدنيا والآخرة» فحفظ سمعته الشعرية في أعوام الحرب الماضية، وعطر باسمه جميع الأندية الأدبية

وفي ثورة سنة ١٩١٩ تخاذل حافظ فلم ينطق بحرف

دخلت الأزهر ذات مساء فسمعت خطيباً يعيب عليه التخاذل، فعلوت المنبر وفندت اتهامات ذلك الخطيب

وفي اليوم التالي لقيت حافظاً بمنزل محمود باشا سليمان، فقال له حفني بك محمود: هل تعرف يا حافظ بك أن الأستاذ مبارك دافع عنك في الليلة الماضية؟

فأدار حافظ بصره إليّ وقال: ماذا تريدون مني؟

قلت : تريد قصائد وطنية

قال : والاعتقال ؟

قلت : وما خَطَر الاعتقال ؟

فأجاب فى هدوء : لن أجد فى المعتقل هذا السيجار « وكان فى يده سيجار »

فقلت : لن تكون شاعر مصر الوطنى وأنت أسير هذا السيجار البغيض !

عريضة اتهام

الغرض من هذه الدراسات هو إرشاد المتسابقين إلى إدراك السرائر من الكتب المقررة لمسابقة الأدب العربى ، وأنا قلت إن حافظاً تخاذل عن الثورة فلم ينطق بحرف ، ونحن فى مقام التأريخ وهو مقام يوجب الصدق ، فلينظر المتسابقون فى ص ٨٧ بالجزء الثانى من ديوان حافظ ، ليروا أن قصيدته التى نظمها عن مظاهرة السيدات فى سنة ١٩١٩ لم تُنشر إلا فى سنة ١٩٢٩ ، ومعنى ذلك أنها كُتِمتْ نحو عشر سنين !

أتريدون الحق ؟

لقد نُسبت تلك القصيدة فى ذلك الوقت إلى جماعة من الشعراء منهم الأستاذ محمد الهراوى ، ولم ير حافظ أن يصحح النسب ، لئلا يقال أو يقال ! !

هزائم فظيعة !

بعد عودة شوقى من منفاه حاول أن يتصل بالقصر من جديد ، فخبَّر القصائد الطوال فى مدح الملك فؤاد ، ولكنه نسى أن الملوك لا يعرفون غير القلب البِكر ، فهم لا يأنسون بمن استأنسوا لسواهم فى أحد العهود

كان الملك فؤاد غاية فى الجبروت العقلى ، وكانت عيناه أحدّ من عينى النسر الظامئ ، وكان يحب أن يكون عرش مصر أعظم العروش ، ولهذا يخل بالرتب والألقاب ، إلا أن تكون جزاء على خدمة قومية تستحق التمجيد

وكان للشاعر شوقى تاريخ فى شؤون الرتب والألقاب ، فصدّ عنه الملك فؤاد ، ولم يَجُد عليه بأى انعطاف

وهنا سنحت الفرصة للشاعر حافظ ، فماذا صنع ؟

أراد أن يؤلف جماعة من الشعراء يسميهم « شعراء القصر » فلم يظفر بغير الإخفاق

دعانى حافظ ذات يوم إلى موافاته بقهوة النيوبار ليحدثنى فى مسألة خصوصية ، وكان الغرض أن يدعونى للانضمام إلى تلك الجماعة الشعرية ، فاعتذرت بأن شيطانى لا يوافينى إلا فى ميدان الغزَل والتشبيب ، ومن الصعب علىّ أن أنظم شعراً فى غير هذا الميدان ، وأنا تلميذ عمر بن أبى ربيعة ، ولم يكن عمر يجيد مدح الملوك

قال حافظ : أنت أحمق يا مبارك !

فقلت : علِّمنى يا معلمى كيف أداوى هذا الحمق

قال حافظ : ستمدح فؤاداً العظيم

فقلت : أمدحه أجزل المدح بالنثر لا بالشعر ، فأقول فيه أعظم مما تقول ، والآفة الوحيدة هى آفة شيطانى ، وهو لا يوحى إلىّ من الشعر غير الغزَل والتشبيب ، ولو كان أمرى بيدى لنظمت القصائد الطوال فى مدح الملك فؤاد ، فهو فى نظرى أعظم الملوك

قال حافظ : أتكون أصدق منى؟

فقلت : إنى لا أجود بغير ما أملك ، وطاقتى الشعرية لا تسمح بغير ذلك الفن الذى تعرف . فهل تريد أن تفضحنى بين الشعراء ؟

ثم ؟ ثم ؟

ثم غدر المتشاعرون بحافظ فورطوه فى متاعب أفسدت ما بينه وبين القصر إفساداً ليس بعده صلاح ، وسأتحدث عن هذه النقطة السوداء بعد حين !

قصيدة قصر الزعفران

هى قصيدة غابت عن الأستاذ أحمد بك أمين وهو يجمع ديوان حافظ إبراهيم ، وهى بشهادة حافظ نفسه أروع ما صدر عن موهبته الشعرية

فما حديث تلك القصيدة ؟

فى سنة ١٩٢٥ تحولت الجامعة المصرية إلى جامعة أميرية ، واختير لها قصر الزعفران ، وفكرت وزارة المعارف فى إقامة حفلة رسمية لافتتاح الجامعة فى عهدها الجديد ، وكانت التقاليد

أن يُرجع إلى القصر قبل إعداد أية حفلة يشرّفها المليك ، فدُعى حافظ إلى مقابلة نشأت باشا ، وكُلّف إعداد قصيدة يلقيها فى حضرة الملك فؤاد يوم الاحتفال

لن أنسى أبداً فرح شاعر النيل بذلك التكليف ، ولن أنسى أنه غنّانى أجمل غناء فى أيام لطاف لم تَعُد عليه بغير العذاب ، كما سنرى بعد لمحات

كنت فى ذلك العهد موظفاً بدار الكتب المصرية ، وكان حافظ يُشرف على القسم الذى أعمل فيه إشرافاً روحياً ، فكان يدعونى كل يوم إلى سماع ما جدّ من القصيدة الجديدة ، وكان يصرّح بأنها الختام لحياته الشعرية ، وأنه لن ينظم بعدها أى بيت

كان الخاطر جميلاً ، ومن البِرّ بحافظ أن نسجل ذلك الخاطر الجميل

الجامعة المصرية الحديثة فى قصر الزعفران ، وقصر الزعفران يجاور « عين شمس » وفى « عين شمس » كانت الجامعة المصرية القديمة التى تخرج فيها فلاسفة اليونان

وعلى هذا الوتر غنّى حافظ وأجاد الغناء

ولكن الأقدار أرادت غير ما أراد حافظ ، فثارت مشكلة حول قصر الزعفران ، مشكلة قوّى غُبارها سعد باشا زغلول وهو رئيس مجلس النواب

قصر الزعفران من قصور إسماعيل ، وهو يوم ذاك من أملاك الخاصة الملكية ، فما الذى تقدم الحكومة من أملاك الدولة فى المبادلة بذلك القصر الخاصّ ؟

كانت الحكومة ترى أن تقدم حديقة الأرمان لتجعل منها الخاصة الملكية « مربط خيل » ، فرأى فريق من رجال الأمة أن هذا البدل غير مستساغ ، وأن الأفضل أن تكون مبانى الجامعة فى حدائق الأرمان

وبهذا ضاعت قصيدة حافظ ، وتهشّم خاطره الجميل !

فأين قصيدة قصر الزعفران ؟ أين أين ؟ ؟

قسّمها حافظ إلى مقطوعات باختلاف ما دارت عليه من الموضوعات ، ونشرت له جريدة البلاغ فى الصفحة الأولى من صفحات سنة ١٩٢٦ مقطوعة بعنوان « بنى وطنى » !

يرحمك الله يا حافظ ، فقد حالفك الشقاء إلى آخر الزمان !

ثم ماذا ؟

ثم كانت القصيدة التى ألقيت فى الاحتفال بافتتاح الجامعة المصرية بعد أن قرّت بحدائق الأورمان قصيدة شوقى لا قصيدة حافظ ، ولهذه الشؤون تواريخ يضيق عنها هذا الحديث

أما بعد فقد يرى قومٌ أن هذا كلام لا يفيد ، وهل اتفقنا على المراد من الكلام المفيد ؟

إحفظوا هذا الكلام ، فسينفع يوم تفكرون فى تأريخ الأدب لهذا الجيل

سيأتى يوم لا تعرفون فيه كيف استطاع شوقى أن يمدح الزعيم سعد زغلول فيقول :

فإن شئتَ فاوضْ وإن شئت دَعْ
فأنت الحقوق وميزانُهـا

مع أن شوقى نفسه حدثنى مرتين أن بينه وبين سعد أحقاداً وترات ، ومع أن له أهاجىَ فى سعد زغلول ، أهاجى لم تُنشر ، وفى الذاكرة منها أشياء

هادن شوقى سعداً لأسباب « انتخابية » يعرفها نسيبه حامد بك الملايلى

وتصافى حافظ مع سعد ليصرع غريمه شوقى

وخلاصة القول أن هذين الشاعرين كانا على جانب من فيض الحيوية ، وبهذا الفيض سيطرا على الجيل الجديد

هل تعرفون قصيدة شوقى فى عرابى ؟

وهل تعرفون ما طوى حافظ وشوقى من القصائد السياسية ؟

ستلوح فرصة قريبة لتسجيل تلك الطرائف قبل أن تضيع ، فللتاريخ الأدبى حقوق ، والجهل بالتاريخ الأدبى أخطر من الجهل بالتاريخ السياسى ؛ لأن الأدب هو التعبير الصحيح عن ضمائر الشعوب

زكى مبارك

حكم فى الجنحة العسكرية ٨٧٦ المنيا سنة ١٩٤٢ بجلسة ١٩-٨-٩٤٢ بتغريم درويش على بسالولا عشرين جنيها والمصادرة والغلق أسبوع ليمه سكرا بأزيد من التسعيرة

حكم فى الجنحة ٩٣٤ عسكرية المنيا سنة ٩٤٢ بجلسة ٢٨-١٠-٩٤٢ بحبس شحاته معوض بقال ببندر المنيا شهرا مع الشغل وغرامة ١٠ جنيه وغلق محله أسبوع وذلك لامتناعه عن بيع السكر بالتسعيرة